ترتيلات نجدية في تضاعيف الخليج

عبد الله بن عبد الرحمن الزيد

أغنية الخروج:

قِفَا ودّعا نجداً.. فبي مثلُ ما بِهِ
وفيه الذي يشقي وفيه الذي أَهْوَى..
وفيه الذي إن ضاقت الذاتُ عن دَمِي
تَذَلَّلَ حتى صار أَنْدى مَن النجوى
وفيه الذي إن ضجّت النار في فمي
تجبّر حتى صار أقسى من الشكوى
وفيه الذي إنْ غاب عن خاطر المدى
فلا الأرض.. كل الأرض تهدي لي
السلوى
هلامية الأسباب لا تعرف الهدى
ولا منطق التفسير يفضي إلى فحوى
أنا.. مَنْ أنا؟ وجدٌ يزورُ انفعَالَهُ
ويرجع من بعد التجلّي إلى المأوى..

فحيناً أردّ الوعي عن حافة الأسى
وحيناً يناديني السّديم الذي أَقْوَى
ألا ما الذي تمتارُهُ الأرضُ للفِدا
إذا كان همّ الأرض بعضاً من البلوى
وكان انثيال الحب بعد اشتعاله
يُشَيِّعُ قِدّيسَ التراب إلى المثوى
حريٌّ بذات الأَيْنِ تزجي مواجعي
وأخْلِقْ بذات الحُلْم تنأى عن الرجوى
أبيتُ بلا معنىً يُظِلُّ مَبَاهجي
وأصحو على لفظٍ يُسَطّحُ ما يُرْوى..

تفصيلات الدُّخول:

زماني..
يصادر وجه انتمائي
فأصغي إلى نبرةٍ في مكاني

فألفيه يسطو على أغنياتي..
إذاً..
سوف أسطو على قَسَماتي..
وأرحَلُ..
كي أستطيع الكلامَ..
وأنجو بلوني وصَمْتي.
وقد أحتفي مثلما أبتغيه ببدئي
وناري..
وشكوى رفاتي
أليس الذي أبتغيه
دليل حياتي..؟
بلى..
والذي أخرج الصمت من باب
صمتي..

وأنطق بَوْحي
بما لم يكن قبل روحي..
أَشَرْتُ
نطقتُ..
خرجتُ
فلاح الخليجُ
كما يستبدّ الفَنَارُ بفأل الغريق..
وكنتُ الغريق الذي لم تجبْهُ
السواري..
ولا صحبةُ اليَمّ
ألقتْ إليه بعهد وثيقْ
تلبّستُ لوني
وشكلي..
وعاشرتُ أصلي
وفصلي..
وثَبّتُّ فوق احتفالي بعقلي عقالي
عقالي..
من الليل يزهو بلونٍ
ومن حيرتي يستبدّ بشكلٍ
يزهو يستبدّ بشكلٍ
يقاسمني ما ببالي..
ألا
لستُ أدري..

لماذا تلَبَّسَني همُّ هذا العقال الطليقْ؟!
أنا الآن..
أُصْغيه حِسّاً عجيباً..
بلى..
أَتَلَمّسُ أحوالَهُ
أَتَعهّدُه
مثل وجه الرفيقْ..
عقالي..
له لهجة غبتُ عنها
وجاءتنيَ الآن
توقظ فيّ التصدّي
لما يستبدّ بوجه الخليج
وما يستكنّ بذاتِ الشروق
غريبٌ..
غريب
غريب
أُطلّ بوجهي
فينكسر البِشرُ فوق جبيني..
فوجهي غريبْ..
أُمُدُّ يداً كوّنتها السَّجَايا..
فيرتدّ بالنبل طعمُ النقاءِ
فلا الكفُّ كفّي..
ولا نبضاتُ السلام

على ضمةٍ للسلام تجيبْ..
أُغنّي..
وأُلقي بروحِ الكلام
ووجدِ السّؤَال
وكيفِ الشعور
فلا يستطيع لساني
فليس له أن يقول الجميل
ولا أن يبوح لوجه الحبيبْ..
.....
إذا احتدّ صمتُ الكئيبِ
بهذا الجدار
وهذا الجدار
وذاك الجدار
وذاك الجدار
سينكسر البابُ من زفرة في الحَنَايا
سأنتعل الضّيق
أخطو بحزني..
يقولون: في هدأةٍ في الشوارع يكبر
حزنُ الغريب..
وفي لحظة في مقاهي الدروبِ
يبدّل همُّ الصدورِ غلالتَه..
ثم يشدو بلحن عَجيبْ..
يقولون:

إنّ التقاء الغريبِ

بوجه الغريبِ

ووجد الغريبِ

وحزن الغريبِ

عجيبٌ.. عجيبٌ.. عجيبْ..

أقول أنا:

يغيبُ..

يغيبُ..

يغيب جميعُ الذي سجّلُوهُ..

ويجفو شوارع هذا الخليج..

فما ثَمَّ إلا جنونٌ

وضيقْ..

وما ثَمَّ..

إلا انفعالٌ مريرٌ

مذيبْ..

وما ثَمَّ إلاّ نذيرٌ

من الحسرات

يُطاول طُهر شتاء الخليج

ويمتار روحَ رحيق الخليج

فيذوي الربيعُ..

بوجه الخليج..

ويوقظ أسطورةً..

حدّثتنا:

عن الموت بين مَنَافي النُّضُوبْ

فهمتُ حديث عقالي..

فهمتُ خطاب اليدين..

فهمتُ انتفاضة وجهي..

فهمت مرارة صمتٍ

يجفُّ على خطرات لساني..

عرفتُ:

لماذا إذا ضمّني شارعٌ في الخليج..

تَلَبّسني موجعٌ من جنوني..

وأسلمني الصمتُ للصوت

عفتُ صفاتي..

رثيتُ..

لمعنى حياتي..!

.....

أغنية الرجوع:

لفجريَ إجهاشٌ بإنشاد مُهْجتي

يَجيشُ كطيب الوعد في ليلة المسرى..

ولِلّيل توقيعٌ.. تَوَلاّهُ صَيّبٌ

من العمر أولاني إلى أُنْسه عُمْرا

لأياميَ الأُولى تَفِرُّ مواسمي

ولي في نشيج الروح أنشودةٌ سكرى

إلى دارةٍ في «الوشم» تهفو مواردي

وأنثالُ مثلَ الوجْهِ في نشوة البشرى

أجيءُ كما يأتي الربيعُ لفَصْلِهِ..

وألثُم قبل الوجد نُوّارة الذكرى

وفي رَيّق الأحباب تندى مواجدي

ويعتادني بَوْحي ولا أعرف السِّرّا

عزيزٌ على الإفصاح تفسير نشوتي

كما عَزَّ في التكوين أنْ يكشفَ السِّتْرا

يقولون: «لا تبعد».. وهم يسمعونني

أَلُوْنُ إنشادي من الساحة الأخرى..

كريمٌ على ذاتي حنينُ أحبّتي..

سؤالٌ يعيد النثرَ من هاتفي شعرا

ويحتدّ مثلَ العشقِ قبل انتحارِهِ

وينثر ما أبقيه من حاجتي نَثْرا

فتأتي إلى وُسْعِي خُيُولُ استخارتي

واصحبُ منها ذلكِ الخيِّرَ الأدْرَى

وأطوي فصولاً من تواشيح رغبتي

وأُنْسى غداة الشأن من شأنها أمرا

ألاَ ما الذي أبديه بعد تَوَهّجِي

سوى زفرة حَلّتْ بها لحظةٌ حَيْرى

فلا أنا إعجازٌ بمَيْسُور أحرفي

وليس الذي أُبْديه في أحرفي سِحْرا

وما أنَا إلاّ ضَمّةٌ حول مولدي

إذا فُتحت كان البكاءُ بها أحرى..